

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)

د. هدى ياسين يوسف الدباغ*

تاريخ قبول النشر

٢٠١٢/٩/٣

تاريخ استلام البحث

٢٠١٢/٤/٢٢

ملخص البحث :

زار ابن جبير مدينة الموصل سنة ٥٨٠هـ وأقام فيها أربعة أيام ، وقدم وصفا لما شاهده فيها من المظاهر العمرانية الدينية والعلمية مثل المساجد والمدارس ، وكذلك المظاهر الاقتصادية والخدمية ممثلة بالأسواق والقيساريات والخانات والحمامات ، كما أشار إلى طبائع أهل الموصل وحسن معاملتهم للغرباء ، وكذلك أبدى استغرابه وعدم تقبله لبعض المظاهر الاجتماعية التي شاهدها في الموصل والتي لم تكن مألوفة لديه في المغرب ، وكان وصفه مفعما بالحيوية والصدق وبعيدا عن الأغراض الشخصية والمادية .

Civilized miens in mosul within the trip of ibn jubair Dr. huda yasin yousef

Abstract:

Ibn jubair visited mosul city and stayed there for four days. He described what he observed about the miens of relegious and civil constructions, such as mosgues and schools and also economical and services appearance such as markets ,qaysarriet

* مدرس ، مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل.

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

inns and bath rooms. He pointed out the tempers of mosuls people with their good dealing with the strangers. He showed his surprise and disagreement of som social appearances that he saw in mosul which were not familiar to him in the west his description was full of vitality and truth far from personal or tangible depression.

مقدمة:

تعد كتب الرحلات مصدراً مهماً لدراسة تاريخ المدن والبلدان ولمختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والجغرافية .ومن هذه الرحلات رحلة ابن جبیر إلى المشرق العربي الإسلامي . وقد قام الاخير بثلاث رحلات إلى المشرق، إذ كانت رحلته الأولى: التي قام بها وهو شاب قد بدأت من ٨شوال سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣ حتى ٢٢ محرم سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وهي التي صنف فيها كتاب رحلته الشهير (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) والمعروف برحلة ابن جبیر، واستغرق عامين وثلاثة أشهر ونصف .أما الرحلة الثانية فاستغرقت عامين من سنة ٥٨٥هـ/١١٨٧ إلى سنة ٥٨٧هـ/١١٨٩م.والرحلة الثالثة بدأت سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م وقد قام بها بعد بلوغه الحادية والسنتين من العمر .وما يهمننا رحلته الأولى التي دونها ، وقد مر ابن جبیر في هذه الرحلة بالعديد من مدن المشرق العربي الإسلامي فزار مصر، والجزيرة العربية، والعراق، ومدن الجزيرة الفراتية، والشام، وصقلية .وشاهد كبريات مدنها، فصورها تصويراً يتفاوت طولاً وقصراً وفقاً للمدة التي أقام بها، والانطباع الذي خلفته في نفسه، والأهمية التي رأى أنها تستحقها، واهتم بوصف الأسوار، والحصون، والمساجد، والمشاهد، والمدارس، والحمامات، والأسواق، والبيمارستانات(المستشفيات)، والدور، والشوارع، وغيرها . وفي زيارته للعراق مر بمدن الكوفة والحلة وبغداد ثم تكريت والموصل. وتأتي أهمية هذه الرحلة كونه دون كل ما شاهده بكل دقة وأمانة، وعلى صورة مذكرات يومية سجلها في كل مكان حل فيه مع ذكر التاريخ باليوم والشهر ومما زاد من أهميتها كونها بعيدة عن الأغراض الشخصية والمغريات المادية.

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

وقد حاولنا في هذا البحث، التعرف على المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلته إليها، والتي استغرقت رحلته إليها أربعة أيام وكان ذلك في عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، ذكر فيها ما شاهده من المنشآت العمرانية سواء أكانت تحصينات دفاعية ممثلة بالأسوار، والقلاع، والأبراج، أم منشآت دينية ممثلة بجوامع الموصل ومساجدها، التي أبدى إعجابه بها وبنائها وزخرفتها مثل الجامع القديم (الأموي)، والجامع النوري، والجامع المجاهدي، والمنشآت التعليمية ممثلة بالمدارس. كما سنتعرف في هذا البحث على المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والخدمية ممثلة بالأسواق والقيساريات، والخانات لاسيما قيسارية مجاهد الدين قايماز، وكذلك الليمارستان، والحمامات، فضلا عن المظاهر الاجتماعية حيث ذكر ابن جبير طبائع أهل الموصل كما شهد بنفسه جانبا من عاداتهم وتقاليدهم.

وقد قسم البحث إلى عدد من النقاط الرئيسية وهي: أولا: اسمه وكنيته ونسبه. ثانيا، ولادته ونبذة عن حياته وأسرته. ثالثا، علمه وعمله. ورابعا، وفاته. خامسا، أسباب ودوافع رحلته إلى المشرق العربي الإسلامي. سادسا، الأوضاع العامة في الموصل زمن الرحلة. سابعا: المظاهر الحضارية وقسمت إلى أولا:المظاهر العمرانية، وتضم أ: المظاهر الدينية والتعليمية (الجوامع، والمساجد، والمدارس) ب:التحصينات الدفاعية (السور، القلعة، الأبراج) وثانيا:المظاهر الاقتصادية والخدمية والاجتماعية، مع توطئة وخاتمة.

اولا: اسمه، وكنيته ونسبه، :

هو محمد بن احمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد، أبو الحسن^(١)

الكناني الأندلسي نسبة إلى قبيلة كنانة العربية^(٢).

ثانيا :ولادته، ونبذة عن حياته، وأسرته:

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية^(٣) سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م^(٤). ونشأ في رعاية أبيه أبو

جعفر احمد بن جبير، وكان أديبا، شاعرا، ومن أصحاب الشرف والنباهة، ونظرا لامتلاكه تلك المؤهلات فقد اتخذه أبو عبد الملك مروان بن محمد بن عبد الله، أمير

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

بلنسية وقاضيها وزيراً، وانتقل والده بعد ذلك إلى مدينة شاطبة^(٥) واستوطنها^(٦) وتزوج هناك، وأقام في مدينة شاطبة إلى أن توفي سنة ٥٢٢هـ/ ١١٥٧م، وكان عمر ابن جبير قد بلغ اثنتا عشرة سنة^(٧) ومما تجدر الإشارة إليه انه كان لابن جبير عما يدعى محمد بن سعيد بن جبير، وكان بارعا في الأدب الشعر^(٨). وقد نشأ ابن جبير في ظل هذه الأسرة التي عنت بالأدب والشعر، مما اكسبه دراية، وسعة معرفة بهذين المجالين^(٩). وحفظ ابن جبير القرآن الكريم، ودرس علوم الدين من حديث وفقه وقرآيات، واهتم بالعلوم اللغوية والأدبية وظهر مواهب شعرية ونثرية. وتزوج من عاتكة وتدعى أم المجد سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وهي ابنة الوزير والكاتب ابن عبد الرحمن الكناني^(١٠) الذي كانت تربطه علاقة وثيقة مع والد ابن جبير أبو جعفر احمد، وكان بين الاثنين مراسلات ومخاطبات شعرية ونثرية، مما شجع ابن جبير على أن يطلب ابنته للزواج^(١١) ولم تذكر المصادر أن له خلفا منها، واستمر زواجه بها إحدى وثلاثون سنة حتى وفاتها سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م^(١٢).

ثالثاً: علمه وعمله:

درس ابن جبير على يد العديد من الشيوخ في الأندلس والمغرب، واخذ عنهم الإجازة، وعنى بالعلوم الدينية لاسيما الحديث، فلا غرو أن رأياه حريصاً على مقابلة أقرانه من المحدثين خلال رحلاته الطويلة، فضلاً عن اهتمامه بعلم الفقه والقرآيات، وكذلك اهتمامه بعلوم اللغة والنحو والأدب والشعر، حتى أصبح عالماً فاضلاً وأديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً^(١٣) كما خلف ابن جبير عدداً من العلماء الذين تتلمذوا على يده في الأندلس والمغرب والمشرق، فرووا عنه علمه، فمنهم من حمل شعره وتناقله وكانت سمة هذا الشعر هو الحض على التحلي بالخلق الإسلامي وبعضهم درس على يده علم الحديث^(١٤).

وبالنظر لما سبق، فقد عمل ابن جبير بصفة كاتب^(١٥) لدى أمير سبته وغرناطة، أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي بعد أن توثقت صلته به^(١٦) وكان من أشهر الشخصيات التي اتصل بها ابن جبير، وتقرب إليه فضمه إلى كتابه، وكانت

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

مهنة الكتابة من المهن الرفيعة والمهمة في تلك الحقبة التاريخية، وتقل ابن جبير مابين سبته^(١٧) وغرناطة^(١٨) برفقته^(١٩) ولم يشتغل بالكتابة وحدها بل عمل بالتدريس أيضا، لاسيما بعد رحلته الثانية إلى المشرق (٥٨٥-٥٨٧هـ/١١٨٩-١١٩١م). وقد انقطع مدة في سبته للتحديث ورواية ما عنده^(٢٠)

رابعا: وفاته

توفي ابن جبير في مدينة الإسكندرية، ليلة الأربعاء ٢٩ شعبان ٦١٤هـ/٢١٧م، بعد أن أمضى السنوات العشر الأخيرة من حياته منتقلا بين مكة والمدينة^(٢١).

خامسا: أسباب ودوافع الرحلة

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الأولى: قام بها وهو شاب، وبدأت من الثامن من شوال ٥٧٨هـ/ ١٨٣م حتى الثاني والعشرون من محرم سنة ٥٨١هـ/ ١٨٥م وهي التي صنف فيها كتاب رحلته الشهير (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، واستغرق في رحلته هذه عامين وثلاثة أشهر ونصف الشهر^(٢٢). وكانت لأداء فريضة الحج^(٢٣)، والمتتبع لخط الرحلة يستشف أنها كانت تسير وفق مخطط يرسم الطريق للحجاج القادمين من المغرب. وكان يتحدث بين الحين والآخر عن العقبات التي تعترض سبيلهم، والمشاق التي يعانون منها في بعض البلدان، كما كان يتحدث عن أخلاق الناس وطبائعهم وطرائق معاملتهم للغرباء لاسيما الحجاج، والوصف التفصيلي لمناسك الحج، ومشاعره، والتصوير الدقيق للمسجد الحرام، والأماكن المقدسة، يشعر القارئ بأنه يرى المكان شاخصا أمام عينيه، لذلك ربما كان ابن جبير يرمي من ضمن ما يرمي إليه أن يجعل هذه الرحلة دليلا للحجاج المغربي، وقد يقوي ذلك أن من الأسماء التي عرفت بها الرحلة كتاب (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)^(٢٤).

ولعل من الأسباب الأخرى للرحلة، أن ابن جبير أراد أن يستطلع أحوال المشرق العربي الإسلامي، لاسيما بعض المدن في بلاد الشام، وهي تواجه العدو

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

الصليبي الذي غزا الإسلام في عقر داره، وأدرك أن هذا العدو شرس وان مواجهته لا تتم في ميدان المعركة وحسب، لذا حاول إبراز الوجه الحضاري للإسلام من خلال اهتمامه الكبير بالمعالم الدينية في البلدان التي زارها، وتصوير الفعل الإنساني المنبثق من عقيدة الإسلام في مجالات الحياة المختلفة، وإبراز مظاهر الحضارة والعمران^(٢٥).

أما الرحلة الثانية لابن جبیر فقد قام بها عندما سمع بفتح السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ) بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٣م مما دفعه للحج وزيارة المسجد الأقصى، واستغرقت عامين من سنة ٥٨٥هـ/١١٨٧م إلى ٥٨٧هـ/١١٨٩م^(٢٦). أما رحلته الثالثة والأخيرة، فقد قام بها سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م، بعد موت زوجته عاتكة أم المجد، فحزن عليها حزناً شديداً، وقد خصها بديوان من شعره، ولم يجد عزاء عنها إلا أن يحج إلى بيت الله، وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر الحادية والستين، فوصل مكة وجاور بها طويلاً، ثم قصد بيت المقدس، ومنه انتقل إلى مصر وتجول فيها، واشتغل بالتدريس إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م^(٢٧).

سادساً: الأوضاع العامة في الموصل عند رحلة ابن جبیر.

زار ابن جبیر مدينة الموصل في فترة الحكم الاتابكي، وكانت الموصل عند زيارة ابن جبیر لها تحت حكم عز الدين مسعود (٥٧٦-٥٨٩هـ/١١٨٠-١١٩٣م) خامس أمراء الموصل من الاتابكة الزنكيين، وكان الأمير مجاهد الدين قايماز^(٢٨) نائباً على قلعة الموصل، وأصبح دزداراً^(٢٩) للقلعة منذ عهد سيف الدين غازي الثاني (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٦٩-١١٨٠م) ونائباً عنه فيها منذ سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، ومديراً لأمورها^(٣٠)، وقد حاول صلاح الدين السيطرة على الموصل وفرض الحصار عليها لأكثر من مرة وذلك في السنوات (٥٧٨هـ/١١٨٢م) ربيع الآخر (٥٨١هـ/١١٨٥م) شهر شعبان ورمضان (٥٨١هـ/١١٨٥م)، إلا أنه لم يتمكن من

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

السيطرة عليها، وذلك بسبب الإجراءات الدفاعية التي اتخذها عز الدين مسعود ونائبه مجاهد الدين قايماز من اجل منع صلاح الدين من السيطرة على الموصل^(٣١). وقد شهدت الموصل في فترة الحكم الاتابكي ازدهارا في الأوضاع العامة، ومنها الأنشطة الاقتصادية والزراعية، ومما يذكر، أن الازدهار الاقتصادي في أي بلد يرتبط بمدى الاستقرار والاهتمام الذي توفره الدولة لذلك البلد، وعلى العكس من ذلك قد يحصل التدهور الاقتصادي بسبب حالة القلاقل والفتن والحروب، واختلاف الولاة، وتغير الدول. وبعد مجئ الاتابكة بدأ التحسن في الأوضاع العامة ومنها الأنشطة الاقتصادية فكثر فيها الحاصلات الزراعية على اختلاف أنواعها، كما انتعشت التجارة والصناعة وذلك بسبب كثرة الإنتاج الزراعي، وتوفر الأموال والمواد الأولية، وقد ساعد النشاط التجاري على نشوء عدد كبير من الخانات والقيساريات والأسواق المختلفة في الموصل، كما أدى تشجيع الحركة التجارية وتسهيل انتقال التجار، وتوفير الخدمات لهم، إلى إنشاء الخانات والفنادق^(٣٢). أما من الناحية الفكرية والدينية، فقد أصبحت الموصل في العصر الاتابكي مركزاً علمياً وفكرياً كبيراً خرج واستقبل عدداً كبيراً من العلماء والأدباء في شتى المجالات، لاسيما وان الاهتمام بالعلم والمعرفة، والسعي في طلبهما من الأمور الأساسية التي حض عليها الإسلام، وكانت الثقافة الدينية هي الغالبة على هذا العصر، وكان التعليم الديني في الموصل موافقاً لمتطلبات روح الجهاد وتعبئة الشعور العام ضد غزو الصليبيين، وساعد الحكام على تنمية هذا الشعور، وظهرت في بلاد الموصل العديد من الأسر التي اشتهرت بالعلم والفضل ومنهم على سبيل المثال، أبناء الشهرزوري، وأبناء يونس بن منعة، وأبناء الأثير، وأبناء مهاجر وغيرهم. وقد شجع الحكام الاتابكة الفقهاء والعلماء ورجال الفكر والأدب، بتقريبهم ومنحهم مناصب رفيعة، وإغداق الأموال عليهم، وبناء العديد من المنشآت الدينية والتعليمية من مساجد ودور حديث وغيرها، كما أنهم أوقفوا

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ٢١٧م)

عليها الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليها وعلى المدرسين وجعلوا من الموصل مدينة علم وأدب وفن يشدُّ الرحال إليها ويؤخذ عن علمائها وأدبائها^(٣٣).

سابعاً: المظاهر الحضارية في الموصل

أولاً: المظاهر العمرانية

أ- المظاهر الدينية والعلمية (الجوامع، المساجد، المدارس)

من المظاهر الحضارية الدينية والمعمارية المهمة التي اهتم ابن جبير بوصفها عند رحلته إلى المشرق العربي الإسلامي بشكل عام وإلى مدينة الموصل بشكل خاص، الجوامع والمساجد، وقد قدم وصفاً دقيقاً لتلك الجوامع والمساجد التي رآها، وأبدى إعجابه بها وبيئتها وعمارتها وزخرفتها، ومنها الجامع المجاهدي الذي بناه مجاهد الدين قايماز، والذي قال عنه ((... وللبلدة ربض كبير فيه المساجد...))

وأحدث فيه بعض أمراء البلدة، وكان يعرف بمجاهد الدين، جامعاً على شط دجلة، ما أرى وضع جامع أحفل منه، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه، وكل ذلك نقش في الآجر، وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، ويطيف به شبابيك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن، ووصفه يطول، وإنما وقع الالمام ببعض جريا إلى الاختصار...)).^(٣٤)

وربض الموصل يقع أسفل المدينة في المنطقة المسماة اليوم بـ (باب الطوب)، وهو الموضع الذي نزله ابن جبير، وقد وجده ربضاً كبيراً، فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق^(٣٥). قد أكد أحد الباحثين المحدثين،^(٣٦) ما ذكره ابن جبير عن جامع مجاهد الدين قايماز وتميزه من حيث البناء والزخرفة فقال ((... إن هذا الجامع يحتفظ بميزات فريدة ونادرة من حيث البناء والتخطيط والتصميم والمعالجات الإنشائية والعناصر المعمارية والزخرفية تعود إلى عهد بنائه الأول من قبل مجاهد الدين... وان تخطيط الجامع يمثل تطوراً في تخطيط المساجد الإسلامية لأسباب مناخية، وقد شيد الجامع برمته بمادة الأجر المطاوعة للأعمال الزخرفية وكذلك أهميته الوظيفية والمعمارية ومحرابه الضخم يعد أكبر محراب أثري بالعراق،

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

ولم تقتصر الزخارف الاجرية في الجامع على نطاق القبة وإنما شملت تزيين أقسامه الأخرى، ولاسيما الجدران الداخلية تغلب عليها الزخارف الهندسية التي تعتمد على تقسيم المساحات المخصصة إلى أشكال هندسية، نجمة أو ما شابه ذلك تتداخل بعضها ببعض أو انكسار الخطوط وتقاطعها وفق ترتيب هندسي سابق وإشغال تلك الأشكال الهندسية بزخارف التوريق العربية (...)).

ومن الجوامع الأخرى التي ذكرها ابن جبير أثناء زيارته للموصل، الجامع الجديد أو الكبير والجامع القديم فقال ((وللمدينة جامعان، احدهما جديد، والآخر من عهد بني أمية، وفي صحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام قائمة، قد خلخل جديها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلاها خصه رخام مثمانة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه قضيب من البلور معتدل ثم ينعكس إلى أسفل القبة، ويجمع في هذين الجامعين القديم والحديث، ويجمع أيضا في جامع الربيض (...))^(٣٧) ويقصد ابن جبير بالجامع الجديد، الجامع الكبير لاتساعه أو الجامع النوري الذي بناه نور الدين محمود زنكي وذلك سنة (٥٦٦-٥٦٨ / ١١٧٠-١١٧٢م) عندما قدم إلى الموصل سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) وقد أطلق ابن جبير عليه اسم الجامع الجديد لأنه لم يمض على بنائه سوى اثنا عشر سنة من تاريخ بنائه إلى وقت زيارة ابن جبير له^(٣٨) ويتميز هذا الجامع بمئذنته الضخمة وارتفاعها الذي يصل إلى (٥٠م) كما يتميز بزخارفه الجارية، وكذلك أعمدة المصلى المضلعة ذات التيجان المتعددة الحطات والموشاة بأشرطة كتابية والنظفة من الزخارف الرخامية^(٣٩)

أما الجامع الذي ذكره ابن جبير فيعود بناؤه إلى عهد بني أمية وهو الجامع الأموي والذي يعد أول جامع بني في الموصل بعد تحريرها عام ١٦هـ/١٣٧م، ولما تولى مروان بن محمد وسعه بعد أن ضاق بالمصلين ثم وسعه الخليفة المهدي سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م^(٤٠). ويسمى هذا الجامع في الوقت الحاضر جامع المصفي نسبة

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

الى الحاج مصطفى مصفى الذهب الذي عمره في الازمنة المتأخرة.^(٤١) فضلا عن ذلك، فقد أشار ابن جبير إلى احد المشاهد والمساجد التي زارها وتبرك بها في مدينة الموصل، وهو مشهد النبي جرجيس الذي يقع وسط الموصل فنذكر موقع المسجد وقبر النبي جرجيس فيه، فقال: ((وخص الله هذه البلدة بتربة مقدسة فيها مشهد جرجيس، وقد بني فيه مسجد، وقبره في زاوية من احد بيوت المسجد عن يمين الداخل اليه، وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر، يجده المار إلى الجامع من باب الجسر عن يساره، فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده، نفعنا الله بذلك)).^(٤٢) ومما يذكر أن المشهد او المسجد الذي أشار إليه ابن جبير هو جامع النبي جرجيس في الوقت الحاضر ويقع في منطقة سوق الشعارين، وقد أشار الجمعة^(٤٣). إلى أن القبر الذي ذكره ابن جبير لازال ماثلا في احد غرف الجامع المجاورة لمصلاه.

ومن المعالم الحضارية الدينية التي شاهدها ابن جبير في آخر يوم من رحلته إلى الموصل رباط يتكون من بناء عظيم يشمل على بيوت كثيرة، ومقاصر، وسقايات، يضم الجميع باب واحد، وفي وسط ذلك البناء بيت مغلق بباب مرصع، وقال ابن جبير أن ذلك البيت كما يقال هو الموضع الذي وقف فيه النبي يونس عليه السلام، ومحراب البيت، هو المكان الذي يتعبد فيه، وكان الناس يخرجون إلى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه كما تبارك بزيارة عين الماء المنسوبة للنبي يونس في الموضع المسمى (الدملماجة) وشرب من مائها وتطهر به^(٤٤). كما أشار ابن جبير الى مدينة نينوى القديمة فقال: ((... وحول هذا الرباط قرى كثيرة، ويتصل بها خراب عظيم، يقال انه كان مدينة نينوى، وهي مدينة يونس عليه السلام، واثر السور المحيط بهذه المدينة ظاهر، وفرج الأبواب فيه بيينة، واكوام أبراجه مشرفة...))^(٤٥).

ومن المظاهر العلمية التي شاهدها ابن جبير في رحلته إلى الموصل مدارس العلم والتي قال عنها ((وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة،

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

فتلوح كأنها القصور المشرفة...^(٤٦). ومما يذكر أن المدارس التي أشار إليها ابن جبير كانت من المدارس العلمية المشهورة في مدينة الموصل بناها وزراء، وملوك، وشخصيات سياسية وعلمية معروفة في تلك الفترة التاريخية، منها: المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك احد وزراء السلاجقة (٤٠٨-٤٨٥هـ/١٠١٧-١٠٩٢م)^(٤٧) أما بقية المدارس فقد بني معظمها في العصر الاتابكي الذي يعد من ازهى العهود الحضارية لمدينة الموصل، ومن الامثلة على مدارس الموصل في العهد الاتابكي، المدرسة الاتابكية العتيقة التي بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩م) وكانت من أحسن المدارس وأوسعها، ووقف عليها الوقوف الكثيرة^(٤٨) والمدرسة الزينية التي بناها زين الدين علي بن بكتكين (٥٦٣هـ/١١٦٧م) وكانت له بالموصل أوقافا كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها^(٤٩). والمدرسة الكمالية القضوية بناها أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الشهرزوري (٤٩٢-٥٧٢هـ/١٠٩٨-١٠٧٦م) وهو من الشخصيات المشهورة في مجال العلم والسياسة^(٥٠). والمدرسة العزبية التي بناها صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود (٥٧٦-٥٨٩هـ/١١٨٠-١١٩٣م) وكانت مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية^(٥١). كما بنى مجاهد الدين قايماز مدبر أمر دولته المدرسة المجاهدية^(٥٢).

وتجدر الاشارة إلى أن ابن جبير ذكر المدارس التي رآها فقط في أثناء مروره بالموصل، ولم يذكر المدارس الأخرى الكثيرة التي كانت داخل مدينة الموصل، وذلك لقصر مكوثه فيها. ومما يذكر، أن مدارس الموصل كانت من أجمل الأبنية التي تشيد، ويعنى باختيار أنزه المواقع لها، وكانت هذه المدارس تزين بالكتابات المختلفة والنقوش الهندسية المتنوعة بالجبس والأجر ويكون فيها الرخام المطعم^(٥٣).

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

بالتحصينات الدفاعية (السور، القلعة، الأبراج)

وصل ابن جبیر إلى مدينة الموصل سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م كما ذكرنا أنفاً، وقد استهل حديثه عنها بالإشارة إلى ضخامة المدينة وقدمها، وحصانتها وقوة استحكاماتها الدفاعية، ممثلة بسور المدينة، وقلعتها، وأبراجها، وسورها، وطريقة بناء بيوتها فقال: ((هذه المدينة عتيقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله، كأنه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه، وللمقاولة في هذه البيوت حرز وقاية، وهي من المرافق الحربية .وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بنائها رصاً ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان، وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد إلى أسفله، ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور، وأبراجه في مائها...))^(٥٤).

ومما يذكر أن مدينة الموصل، كانت من الحواضر العربية الإسلامية المهمة وعلى مر الحقب التاريخية، إذ اتخذ الأشوريون مدينة نينوى عاصمة لهم، وأقاموا حولها قلاعاً^(٥٥)، واهتم الملوك والحكام المسلمين عبر حقب التاريخ الإسلامي المختلفة بتحصين المدن وبناء الأسوار والقلاع والحصون لالتقاء هجمات الأعداء، وكذلك لما توفره من قوة ومنعة للمدينة .

وفي العهد الاتابكي، اتخذ عماد الدين زنكي الموصل قاعدة لدولته فاهتم بتحسينها فقد رمم السور واحكمه وزاد في علوه ما يقارب مثله، وعمق الخندق الذي يحف به من الخارج وفتح باباً إضافياً هو الباب العمادي^(٥٦). وأصبح سور الموصل في العهد الاتابكي من أعظم الأسوار شانا في الشرق لاحتوائه على أبراج دفاعية متقاربة^(٥٧)، أما الأبراج فكانت تمثل دعائم للأسوار وتقوية وحماية وأماكن لتجمع الجند عند الدفاع عن المدينة وأبراج قلعة الموصل كانت متصلة ببدن (جسم) السور، وقد تعرضت هذه القلعة لأكثر من حصار عسكري وبخاصة من قبل السلطان صلاح

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

آنذاك^(٥٨). ومن الناحية العمرانية، وفيما يتعلق بمدينة الموصل أيضا أشار ابن جببر إلى دور السلطان (قره سراي) والتي تقع في طرف المدينة الشرقي المطل على النهر وهذا الأمر عزز من الناحية الدفاعية للمدينة مفيداً من وجود النهر حاجزا طبيعياً، وأثره في الدفاع عن أجزاء من المدينة وهي الجهة المطلة على النهر^(٥٩). أما دور السلطان فقد ذكر ابن جببر^(٦٠) كيفية بنائها فقال: ((.. وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض..)) ودور السلطان في قلعة الموصل متصلة بالقلعة يصل بينهما وبين المدينة شارع متسع، وان لم يوضح ابن جببر أشكال هذه الدور إلا أنها كانت تميل إلى الاستطالة وقد شكلت منازل الموصل عنصراً ثانياً ساهم في مضاعفة الحماية لقلعة الموصل^(٦١). وقد أشار احد الباحثين المحدثين^(٦٢) إلى أهمية هذا النوع من البناء فقال: ((النسيج العمراني المتراس (المتضام) للموصل أي استناد المباني والبيوت بعضها على بعض بجدران مشتركة ولا تترك بينها سوى طرقات وأزقة ملتوية واسعة، وخاصة النظام المتراس للمباني غدت من السمات المميزة للمدن العربية الإسلامية لما يحققه من فوائد مناخية واجتماعية وإنشائية واقتصادية)).

ثانياً – المظاهر الاقتصادية والخدمية والاجتماعية :

لم تقتصر زيارة ابن جببر إلى الموصل على وصف المظاهر العمرانية والدينية والعلمية، والتحصينات الدفاعية، وإنما ذكر المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والخدمية فيها. وفيما يتعلق بالمظاهر الاقتصادية، فقد أشار إلى الازدهار الاقتصادي الذي كانت تعيشه المدينة، فعند وصوله الى موضع القيارة^(٦٣) التابعة للموصل، ذكر عيون القار الأسود الموجودة فيها، وكيفية تصنيعه، ومن ثم المتاجرة فيه، إذ أشار إلى عيون كبيرة وصغيرة ينبع منها القار الذي يصل إلى درجة الغليان وتقذفه العيون، فتصنع له أحواض يجتمع فيها^(٦٤)، ثم وصف ابن جببر^(٦٥) شكل القار ولونه ورائحته ودرجة مرونته فقال: ((... فتراه شبه الصلصال منبسطة على الأرض، اسود أملس، صقيلا رطباً، عطر الرائحة، شديد التعلق، فيلصق بالأصابع لأول مباشرة من اللمس)) وذكر

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

ابن جبیر^(٦٦) عیون أخرى للقار علی مقربة من العیون الأولى التي رآها وكيفية تصنيعه والمتاجرة فيه إلى بقية البلدان فقال: ((... وبمقربة من هذه العیون علی شط دجلة عين أخرى منه كبيرة أبصرنا علی البعد منه دخانا، فقيل لنا: إن النار تشعل فيه إذا أرادوا نقله فتنشف النار رطوبته المائية وتعقده فيقطعونه قطرات ويحملونه، وهو یعم جميع البلاد إلى الشام إلى عكا إلى جميع البلاد البحرية)) وقد أبدى ابن جبیر^(٦٧) اندهائشا لما شاهده من عیون القار لاسیما وانه لم يشاهد مثل تلك العیون إلا فی مدينة الموصل عدا العین التي سمع بها بین الكوفة والبصرة فقال: ((فشاهدنا عجا كنا نسمع به فنستغرب سماعه... والله یخلق ما یشاء، سبحانه تعالی جده، وجلت قدرته، لا رب غیره...)). وعند دخول ابن جبیر إلى مدينة الموصل، أشار إلى الأسواق وقيسارية للتجار والخانات التي كانت متواجدة فی ربض المدينة فضلا عن المرافق الخدمية كالحمامات والبیمارستان وقد أبدى إعجابه بقیسارية للتجار بناها مجاهد الدین قایماز وأشاد بحسن بنائها وزخرفتها وانتظامها فقال: ((وللبدة ربض كبير فيه... الحمامات والخانات والأسواق... وبني أيضا داخل البلد وفي سوقه قیسارية للتجار، كأنها الخان العظيم، تتعلق علیها أبواب حديد، وتطیف بها دكاكين وبيوت، بعضها علی بعض، قد جلي ذلك كله فی أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثیل له، فما أرى فی البلاد قیسارية تعدلها))^(٦٨) ومما یذكر أن تلك الأسواق كانت تتميز بالامتداد الطولي المتوازي لوحداث متماثلة من الدكاكين المتلاصقة علی جانبي طرق وممرات ضيقة تعلوها سقوف مقببة ذات فتحات جانبية للتهوية والإضاءة، وهي السمة المميزة للأسواق التراثية فی اغلب المدن العربية الإسلامية^(٦٩) والخانات كانت تقام لنزول التجار ومن یقصد البلد^(٧٠). وكذلك كانت مخازن لبضائع أصحاب الدكاكين فی الأسواق ومأوی مؤقتا ومرابط لحيوانات المسافرين من التجار الذین یتاعون بتلك الأسواق^(٧١) أما الحمامات العامة فقد وجدت فی منطقة الأسواق لاستقبالها من قبل روادها حيث غلبت علی الحمامات الخاصة لعدم وجود إسالة الماء

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

المارستان الحفيل الذي بناه مجاهد الدين في الربض الجنوبي للمدينة، وأشار إلى وقوعه أمام الجامع المجاهدي^(٧٣)، فضلا أشار ابن جببر إلى مارستان آخر يقع داخل مدينة الموصل الا انه لم يشر الى بانيه^(٧٤).

أما فيما يتعلق بالمظاهر الاجتماعية فقد رصد ابن جببر في رحلته إلى الموصل صورا متعددة من الحياة الاجتماعية، كما أبدى استغرابه من بعض المشاهد التي اطلع عليها وهي على ما يبدو تغاير مالفه في المغرب الإسلامي، وأشار إلى السمات الخلقية التي كان يتحلّى بها سكان البلاد التي زارها، وفيما يتعلق بأهل الموصل، فقد أشاد ابن جببر بأخلاقهم وطبائعهم وحسن معاملتهم للغرباء وإقبالهم على أعمال البر فقال: ((وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، ويستعملون أعمال البر، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في معاملاتهم))^(٧٥). كذلك تحدث عن نساء أصحاب الموصل من الخواتين ومواكب دخولهم المدينة بعد عودتهم من الحج مما يشير إلى ترف المدينة وحكامها^(٧٦) وكان ذلك في اليوم الثاني من حضوره إلى الموصل إذ قدم وصفا دقيقا لما شاهده من مظاهر الفخامة والأبهة والاحتفال الكبير الذي رافق وصول الحجاج المواصل إلى الموصل، وعلى رأسهم الخاتونتان، أم عز الدين صاحب الموصل، وبنيت الأمير مسعود، وخروج الناس ركبانا ومشاة بما فيهم النساء لاستقبالهم، وكان برفقة الخاتون العسكر والجواري^(٧٧) كما ذكر أدوات الزينة التي كانت تُزين موكب تلك الخاتون من الحرير والذهب فضلا عن وصفه لملابس الخاتون المزينة بالذهب^(٧٨) ومما قاله عن ذلك: ((ومن احفل المشاهد الدنيوية المربية بروز شاهدناه يوم الأربعاء ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتونين أم عز الدين صاحب الموصل، وبنيت الأمير مسعود... فخرج الناس على بكرة أبيهم ركبانا ومشاة... وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته، فدخل الحجاج المواصله صحبة خاتونهم على احتفال وأبهة قد جللوا

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ٢١٧م)

عسكر جواربها وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها، وقد جللت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة أهلة ودنانير سعة الأكف وسلاسل وتمائيل بديعة الصفات، فلا تكاد تبين من القبة موضعا، ومطباتها تزحفان بها زحفا، وصخب ذلك الحلي يسد المسامع ومطاياها مجللة الأعناق بالذهب، ومراكب جواربها كذلك، مجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره وكان مشهدا أبهت الأبصار وحدث الاعتبار وكل ملك يفنى الا ملك الواحد القهار لا شريك له))^(٧٩) ويتبين من خلال تعليق ابن جبير على ما شاهده انه لم يكن راضيا عن مظاهر الفخامة والأبهة والزينة وذلك لان روحيته فيها الكثير من الزهد والرغبة في الجهاد دون أمور الدنيا التي بدت مهمة لدى حكام الموصل كما هي في الصورة التي عرضها^(٨٠). كما ذكر ابن جبير ما سمعه من الثقات عن هذه الخاتون فقال: ((واخبرنا غير واحد من الثقات ممن يعرف حال خاتون هذه، أنها موصوفة بالعبادة والخير، مؤثرة لأفعال البر. فمنها أنها أنفقت في طريقها إلى الحجاز من صدقات ونفقات في سبيل البر مالا عظيما وهي تحب الصالحين والصالحات تزورهم متتكرة رغبة في دعائهم))^(٨١).

الخاتمة

زار ابن جبير مدينة الموصل، وذلك عند رحلته الأولى إلى المشرق العربي الإسلامي، لأداء فريضة الحج، ومر بالعديد من المدن، ومنها مدينة الموصل التي أقام فيها أربعة أيام، وقدم وصفا لما شاهده فيها. ولم يتجاوز ابن جبير في معظم ما كتبه حدود ما شاهده وعائنه، ف جاء وصفه مفعما بالبساطة والصدق. وتبين من خلال البحث المظاهر الحضارية في الموصل زمن الرحلة، ومنها المظاهر العمرانية الدينية والعلمية ممثلة بالجامع النوري، والجامع المجاهدي الذي أشاد ابن جبير بحسن بنائه وزخرفته، فضلا عن المسجد الأموي، وكذلك أشار إلى المدارس العديدة المطللة على دجلة والتي تدل على ازدهار الحركة العلمية في العصر الاتابكي، كما تبين من خلال الرحلة المظاهر الاقتصادية والخدمية ممثلة بالأسواق والقيساريات والخانات

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

طبائع أهل الموصل وحسن معاملتهم للغرباء، كما أبدى استغرابه وعدم تقبله لبعض المظاهر الاجتماعية التي شاهدها في الموصل والتي لم تكن مألوفة لديه في المغرب .

هوامش البحث:

- (١) زكي الدين بن عبد العظيم المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف (النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧١) ص ٢٨٨، ٢٨٩؛ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان ط٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦) ج ٢٢/٢٤٥؛ احمد بن محمد التلمساني المقرئ، فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨) ج ٢/٣٨١.
- (٢) ينظر: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر ج. برجستراسر (القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٣٣) ج ٢/٦٠؛ المقرئ، فح الطيب، مج ١/٢٩١.
- (٣) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، شرقي قرطبة. شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت، دار صادر، ٢٠١٠) مج ١/٤٩٠.
- (٤) المنذري، التكملة، ص ٢٨٩؛ مصطفى الشهابي، الجغرافيون العرب (مصر، دار المعارف، ١٩٦٢) ص ٧٢.
- (٥) شاطبة: مدينة كبيرة قديمة، تقع شرقي الأندلس وشرقي قرطبة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١/٣٠٨).
- (٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصل و الصلة، تحقيق: محمد بن شريفة (بيروت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت) سف ١، ق ١/٨٠-٨١.
- (٧) محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي (القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧) ص ١٩٩-٢٠٠.
- (٨) المراكشي، الذيل، سف ٦، ص ٢٠٩.

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

(٩) محمد نزار الدباغ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠١، ص ١٤.

(١٠) كنيته أبو جعفر وهو بلنسي سكن مالقة وتردد إليها كثيرا، وكان ادبيا بارعا فاضلا شاعرا كاتباً بليغا ووزيرا حسيبا، توفي بمالقة سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م. ينظر: المراكشي الذيل، سف ٥، ق ١، ص ١٩٧-٢٠١؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، ط ١ (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣) ج ٢/٥٧.

(١١) ينظر: المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢، ص ٦٠٦؛ مادة (ابن جبير) في الموسوعة

الحرّة (ويكبيديا) من المكتبة الافتراضية العراقية على الموقع: www.ivsl.org

(١٢) المصدر نفسه والصفحة.

(١٣) للمزيد ينظر: المنذري، التكملة، ص ٢٨٩؛ المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/٥٩٦؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج ٢/٥٧٥؛ وينظر الدباغ، المشرق العربي الإسلامي، ص ١٤-٣٠؛ الشهابي، الجغرافيون العرب، ص ٧٢-٧٥.

(١٤) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/٦٠٦-٦٠٧؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه، السيد عزت العطار الحسني، (القاهرة، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٩٥٦) مج ١/ ١٢١-٣١٦-٣١٨، مج ٢/ ٥٩٩؛ وينظر الدباغ، المشرق العربي الإسلامي، ص ٣١-٣٩.

(١٥) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢، ص ٢٠٧؛ ابن الأبار، التكملة، مج ٢/٥٩٨؛ الشهابي، الجغرافيون العرب، ص ٧٢.

(١٦) وهو من أولاد عبد المؤمن بن علي وأنبيهم وأنجبهم، كان محبا للأدب والشعر، وكان يجتمع لديه أعيان الشعراء والكتاب، مالم يجتمع لملك بني عبد المؤمن. ينظر: عبد الواحد بن علي المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، تصدير: مهدي علام (القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣) ص ٢٩٣.

(١٧) سبته: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٣/١٨٢.

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

(١٨) غرناطة: وهي من أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/١٩٥

(١٩) حسين نصار، رحلة ابن جبير، مجلة تراث الإنسانية (القاهرة، المؤسسة المصرية

العامة، دت) مج ١/ ٢٣٨.

(٢٠) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢، ص ٦٠٦؛ نصار، رحلة ابن جبير، مج ١/ ٢٣٨.

(٢١) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/ص ٦٢١؛ المنذري، التكملة، ج ٤/ ٢٨٨؛ مادة ابن جبير

في الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) مع موقع المكتبة العلمية الافتراضية العراقية على

الموقع: www.ivsl.org

(٢٢) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/٥٩٦؛ لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن

الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط ١ (القاهرة،

الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٤) ج ٢/٢٣١؛ أبي الحسن محمد بن احمد بن

جبير، رحلة ابن جبير، قدم له: إبراهيم شمس الدين، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية،

٢٠٠٣)، ص ٢٧، ٢٦٦.

(٢٣) ابن جبير، الرحلة، ٢٧؛ وينظر: الدباغ، المشرق العربي الإسلامي، ص ٤٤، ٤٦.

(٢٤) شفيق محمد الرقب، بلاد الشام في رحلة ابن جبير، مجلة دراسات العلوم الإنسانية

والاجتماعية، ع ٢، ٢٠٠١، مج ١٨، الجامعة الأردنية، ص ٣٤١.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ٣٤٢.

(٢٦) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/٦٠٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢/٢٣١؛ الرقب، بلاد

الشام في رحلة جبير، ص ٣٤١.

(٢٧) المراكشي، الذيل، سف ٥، ق ٢/٦٠٥؛ شوقي ضيف، الرحلات، ط ٤ (القاهرة، مطبعة

المعارف، ١٩٥٦) ص ٧١

(٢٨) مجاهد الدين قايماز: حاكم قلعة الموصل ومتوليها في الدولة الاتابكية وكان عاقلا، دينا

خيبرا بنى عدة جوامع وخانقاهات ومدارس توفي سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م. علي بن ابي

الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، التاريخ الباهر في

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣)

١٩٣، ١٩٤

(٢٩) دزدار: هو لفظ أعجمي يتكون من مقطعين: دزه هي قلعة، ودار هي الحافظ، لذلك معنى هذا اللفظ حافظ القلعة وهو الوالي. شمس الدين احمد بن محمد المعروف بابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر،

١٩٦٨) مج ٣/٤٨٢

(٣٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٦) ج ١١/٤٦٣؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط ١ (القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت) ج ٣/٦٢.

(٣١) للمزيد ينظر: شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢) ج ٣/٨١، ٨٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، ١٥٢؛ تقي الدين محمد بن تقي الدين ابن شاهنشاه الأيوبي، مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسين حبشي (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦٨)، ص ٥١، ٨٣، ١٦٢، ٢١٣.

(٣٢) ابن الأثير، الباهر، ص ٧٨؛ الديو ه جي، تاريخ الموصل، (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢) ج ١ / ٥٢، ٤٠٧.

(٣٣) ابن الأثير، الباهر، ص ١٥٤؛ عبد الجبار حامد احمد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الاتابكة ٥٢١ - ٦٦٠ هـ / ١١٢٧ - ١٢٦٢ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٦؛ مها سعيد جرجيس، الدور التعليمي للأسر العلمية في الموصل من القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص ٥٧ وما بعدها؛ سعيد الديوه جي، دور العلم في الموصل، ط ١ (الموصل، مكتبة الميثاق، ٢٠١١) ص ١٦.

(٣٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

- (٣٥) مؤيد عيدان كاطع، ابن جبير ومحطات رحلته إلى الموصل، بحث منشور ضمن ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والأجانب، الموصل، منشورات مركز دراسات الموصل، ١٩٩٧، ص ٢٦.
- (٣٦) احمد قاسم الجمعة، عمائر الموصل وخطتها من خلال رحلة ابن جبير، بحث منشور ضمن ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والأجانب، الموصل، منشورات مركز دراسات الموصل، ١٩٩٧، ص ١٥، ١٦.
- (٣٧) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.
- (٣٨) ابن الأثير، الباهر، ص ١٥٣، ١٥٤؛ الجمعة، عمائر الموصل، ص ١٧.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ١٧.
- (٤٠) يزيد بن محمد بن اياس بن محمد الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة (القاهرة، دار التحرير للطباعة، ١٩٦٧)، ص ٢٤٨؛ السديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١/٣٠، ١٨١؛ كاطع، ابن جبير ومحطات رحلته إلى الموصل، ص ٢٦.
- (٤١) احمد الصوفي، خطط الموصل، (الموصل، مطبعة ام الربيعين، ١٩٥٣) ص ٣٨.
- (٤٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.
- (٤٣) عمائر الموصل، ص ١٩.
- (٤٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥؛ كاطع، ابن جبير ومحطات رحلته إلى الموصل، ص ٢٦.
- (٤٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ١٨٤.
- (٤٧) شمس الدين احمد بن محمد المعروف بابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٩) ج ٤/٢٤٦.
- (٤٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص ج ٤ / ص ٤، السديوه جي، دور العلم في الموصل، ص ٢١.
- (٤٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤/٨٢؛ الصوفي، خطط الموصل، ص ٤٦.
- (٥٠) المصدر نفسه، ج ٧/ص ٨٧.

المظاهر الحضارية في الموصل من خلال رحلة ابن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ٢١٧م)

- (٥١) ابن خلکان، وفیات الأعیان، ج ٥/٢٠٧ ؛ الصوفي، خطط الموصل، ٤٧.
- (٥٢) المصدر نفسه، ج ٤/٨٢.
- (٥٣) الديوه جي، دور العلم في الموصل، ص ١٦.
- (٥٤) ابن جبیر، الرحلة، ص ١٨٤.
- (٥٥) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١/٩.
- (٥٦) ابن الأثیر، الباهر، ص ٧٧، ٧٨.
- (٥٧) الصوفي، الخطط، ص ١٢.
- (٥٨) محمد نزار الدباغ، التركيب الوظيفي لقلعتي الموصل وحلب دراسة موازنة في وحدة واختلاف العنصر العمراني (رحلة ابن جبیر نموذجاً)، بحث منشور ضمن أبحاث الندوة العلمية الصلات العلمية بين العراق وسورية عبر التاريخ -تجدد، نيسان ٢٠٠٨، ص ٣٤٩، ٣٥٠.
- (٥٩) المرجع نفسه، ص ٣٥٠.
- (٦٠) الرحلة، ص ١٨٤.
- (٦١) الدباغ، التركيب الوظيفي، ص ٣٥٢، ٣٥٣.
- (٦٢) الجمعة، عمائر الموصل، ص ١١.
- (٦٣) القيارة : عين القيارة بالموصل ينبع منها القار، ويقصدها أهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/٤١٩ .
- (٦٤) ابن جبیر، الرحلة، ص ١٨٣.
- (٦٥) المصدر نفسه والصفحة .
- (٦٦) المصدر نفسه والصفحة.
- (٦٧) المصدر نفسه والصفحة.
- (٦٨) المصدر نفسه والصفحة، ص ١٨٤.
- (٦٩) الجمعة، عمائر الموصل، ص ١٤.
- (٧٠) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١/٥٢.
- (٧١) المرجع نفسه، ج ١/١٤-١٥.

د. هدى ياسين يوسف الدباغ

- (٧٢) الجمعة، عمائر الموصل، ص ١٦ .
- (٧٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤ .
- (٧٤) المصدر نفسه، ص ١٨٤ .
- (٧٥) المصدر نفسه، ص ١٨٥ .
- (٧٦) الدباغ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير، ص ٨٦ .
- (٧٧) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥ .
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ١٨٥ .
- (٧٩) المصدر نفسه، ص ١٨٥-١٨٦ .
- (٨٠) الدباغ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير، ص ٨٧ .
- (٨١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦ .

دراسات موصلية، العدد (٣٨) ، ذو الحجة ١٤٣٣ هـ / تشرين الاول ٢٠١٢

(١٠٨)